الجدل الدوناتي الكاثوليكي وانعكاساته على بلاد المغرب القديم (305-411م)

تاريخ استلام المقال: 2017/09/21 تاريخ قبول المقال للنشر 2018/04/01

د. عولمي الربيع
جامعة باتنة-1-
البريد الالكتروني: rabieoulmi@yahoo.fr

ملخص:

تعود جذور الجدل الدوناتي-الكاثوليكي في المغرب القديم إلى فترة اضطهادات الامبراطور "ديوكليتيانونس" (Dioclétianus) للمسيحيين خلال سنوات (303م-305م) التي أدت إلى ارتداد الكثير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية.

وتكرس الانشقاق في الكنيسة الإفريقية على إثر سيامة "كايكليانوس" أسقفا لقرطاجة في 311م، بعد وفاة "مونسوريوس"، ووجدت الكنيسة الإفريقية نفسها منقسمة بين أسقفين وحزبين: الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية اللتان تبادلتا الاتهامات والإدانة. واحتج الدوناتيون عن كل تدخل من طرف الأباطرة الرومان في شؤون الكنيسة.

وبعد اعتزال "ديوكليتيانونس" السلطة، انعقد المجمع الكنسي بمدينة سيرتا (*Concili Cirtensis*) في 305م، والذي أقر مبدأ انفصال الدوناتيين عن المرتدين والمتخاذلين وأكد أن الكنيسة الدوناتية هي الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية، طالما أن أتباعها صمدوا وتصدوا للاضطهاد. ومن ثمة فهي الكنيسة الوحيدة التي حافظت على مبادئ المسيحية وطهارتها. وعلى مدى أكثر من قرن من الزمن وقفت الدوناتية في وجه الكنيسة الكاثوليكية، والسلطة الزمنية الرومانية التي تدعمها حتى صدر قرار تحريمها سنة 411م.

الكلمات المفتاحية: الجدل، الكنيسة الدوناتية، الكنيسة الكاثوليكية، القديس "أوغسطين"، مناظرة قرطاجة.

Résumé :

La Polémique entre Donatistes et Catholiques pendant la période des persécutions de l'empereur Dioclétien durant les années (303-305). L'hérésie donatiste apparaît en 311 à la suite de la consécration de l'évêque de Carthage Caecilianus. C'est Donat, évêque de Carthage qui donna son nom au schisme donatiste,

L'Église Africaine se trouva ainsi divisée entre deux évêques et deux partis : l'Église donatiste, et l'Église catholique qui s'excommuniaient et s'accusaient réciproquement. Plus tard, les donatistes protestèrent contre toute ingérence des empereurs dans les affaires de l'Église.

C'est sous l'égide impériale que se tient, la conférence de Carthage en 411. Le concile prononça une sentence condamnant les donatistes. Les catholiques l'ayant emporté, Honorius Flavius, empereur d'Occident (395-423), promulgue de nouvelles lois anti -donatistes.

On peut conclure de ce raccourci historique que le donatisme se présente comme une attitude schismatique et une forme d'hérésie par des divergences doctrinales profondes dans les domaines ecclésiologiques et sacramentaires. Mais il s'ajoute à cela un refus d'une nouvelle attitude de l'Église catholique face au pouvoir romain, à la faveur de la paix constantinienne.

Mots clés : la polémique, l'église Donatiste, l'église Catholique, conférence de Carthage, St. Augustin.

مقدمـــة:

تبلورت فكرة تأسيس حركة دينية اصطلح على تسميتها بـ "الحركة الدوناتية" في بداية القرن الرابع الميلادي، على إثر اضطهادات "ديوكليتيانونس" (*Dioclétianus*) [1] للمسيحيين في المغرب القديم خلال الفترة (303م-

1- **ديوكليتيانوس**، Valerius Dioclétianus، (245- 313م) إمبراطور روماني (284- 305م) عين ماكسيميانوس شريكا له سنة 286م ثم قنسطانس كلور الأول وغالريوس قيصرين (مساعدين للإمبراطور) سنة 293م، ونجحت هذه السياسة فأعيدت بريطانيا إلى حظيرة الإمبراطورية سنة 296م وأخضع الفرس سنة 298م، لكنه اضطهد المسيحيين وأخفقت اصطلاحاته الاقتصادية، اعتزل الحكم سنة 305م، قضى خريف عمره في سالونا (Salone) - Bouillet (M.N.), Dictionnaire Universel d'Histoire. et de Géographie, hachette, Paris, 1878. p.533.

305م). وبعد وفاة الأسقف "بولوس" حيث انعقد مجمع كنسي بمدينة سيرتا سنة 305م لتعيين أسقف جديد للمدينة.

يعود ظهور الدوناتية إلى مجموعة من الأسباب أبرزها: أن الأساقفة النوميديين طعنوا–وعلى رأسهم الجثليق سوكوندوس (*Secundus*)– في سيامة أسقف قرطاجة "كايكيليانوس" (*Caecilianus*) وبعض الأساقفة الذين انتخبوه في هذا المنصب، بتهمة تسليم الكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية أثناء "الاضطهاد الأكبر" في عهد الإمبراطور "ديوكليتيانوس" (284–305م). وقد ظل الدوناتيون يصفون أعدائهم الكاثوليك بكنيسة "المتخاذلين" *Traditores*[1]، وكانوا ينعتونهم أيضا بحزب "كايكيليانوس" (*Pars Caeciliani*)، وبنعوت أخرى شائنة، ولم ينعتوهم أبدا "بالكنيسة الكاثوليكية" لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحابها الحقيقيين.

وإذا كانت الدوناتية قد ظهرت في نوميديا [2] فإن بغاي تعتبر من أكبر معاقلها، حيث وقعت بها معظم أحداث التاريخ الدوناتي كمعركة 347م، وانعقد بها مجمع البريميانيين (*Primianistes*) سنة 394م. ويمكننا أن نتساءل في هذا السياق: ما الظروف التي ساعدت على ظهور الحركة الدوناتية؟ لماذا

---

[1]- **Traditores** : من الفعل اللاتيني : Trado (Transdo), didi, ditum, ere ب

معني "سلم إلى" أي عملية تسليم الكتب

المقدسة إلى السلطة المضطهدة وقد عرفت في النصوص بـ Traditio و"المسلم" (Traditor). - Félix Gaffiot, Dictionnaire Abrégé Latin Français, Hachette, Paris, 1936, p. 657.

[2]- **نوميديا**، هي مملكة نوميديا، كيان سياسي ظهر في أواخر القرن الرابع ق.م في شكله القبلي حول ضريح مدغاسن ثم أصبح نظاما ملكيا بعد انتقال القبائل الماسيلية الى سيرتا. انقسمت هذه المملكة في ظروف نجهلها إلى قسمين: مملكة نوميديا الغربية: (مازيسيليا): وتنسب إلى قبائل المازيسيل التي أسستها، وظهرت كقوة في شمال إفريقيا في أواخر القرن الثالث ق.م وأوائل القرن الثاني ق.م وكان على رأسها الملك سيفاكس (Syphax). ومملكة نوميديا الشرقية (ماسيليا): وتنسب إلى قبائل الماسيل التي لعبت دورا أساسيا وحاسما عشية وغداة القضاء نهائيا على قرطاجة واعتبر بعض المؤرخين أن الملك ايليماس قد يكون أقدم ملوك الماسيل. Camps, (G.), « *Aux origines de la Berbérie, Massinissa, ou les débuts de l'histoire*, Libyca, t. VIII, 1960. p.167.

ظهرت في نوميديا وتحديدا في بغاي دون غيرها من مناطق المغرب القديم؟ وما خلفيات الصراع الدوناتي الكاثوليكي؟ وهل كان للسلطة الرومانية يد في ذلك الصراع؟ ثم كيف تطورت الحركة الدوناتية من حركة دينية محلية إلى حركة ذات طابع اجتماعي-سياسي عارضت الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الزمنية على حد سواء في كل الشمال الإفريقي القديم؟

1-تأسيس الحركة الدوناتية: لايزال تاريخ جذور الدوناتية وبداية الانشقاق الدوناتي يكتنفه كثير من الغموض [1]. وينطلق المؤرخون أساسا مما اصطلح على تسميته بـ "ملف الدوناتية"[2] الذي يتكون من مجموعة من الوثائق الإدارية والكنسية التي يتراوح تاريخها ما بين 314م -330م.

والحقيقة، أن بعض رجال الدين الكاثوليك قاموا بجمع تلك الوثائق في ملف خاص، بهدف استعمالها في المساجلات الكلامية مع الدوناتيين وذلك قبل سنة 347م حسب ما ذكره لويس دوشين (*Louis Duchesne*) [3]. وقد توفر هذا الملف بيد أول مجادل كاثوليكي ذكر في كتابات القديس "أوبطاتوس الميلي"(*Sanctus Optatus Milevitanus*) [4] الذي انطلق من تلك الوثائق لرواية بداية الانشقاق والرد على الزعيم الدوناتي "بارمينيانوس"[5] (*Parmenianus*) في حوالي سنة 366م.

-[1]-Monceaux (P.), Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe, t. I, Ernest Leroux, Paris, 1902, IV, p.193 ; Brisson (J.P.), Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine, Paris, de Boccard, 1958, p.123.

-[2] Duchesne (L.), « le Dossier du Donatisme », M.E.F.R.A., X, 1890, pp. 589- 650.

-[3] Ibid., pp. 627,649.

[4]- **أوبطاتوس الميلي**، (320م -385م) ولد في إفريقيا، كان أسقف مدينة ميلاف النوميدية (ميلة حاليا على بعد 50 كلم شمال غرب قسنطينة)، خلال القرن الرابع الميلادي، من أشهر أحبار زمانه، دافع عن الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتيين، من أبرز مؤلفاته: " De Schismate Donatistarum " توفي حوالي 385م. - Bouillet (M.N.), Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie, Paris, hachette, 1878, p.1383.

[5]- **بارمينيانوس**، (Parmenianus) ثاني أسقف دوناتي، خلف دوناتوس الأكبر على رأس الكنيسة الدوناتية وأبرشية قرطاجة

واحتد النقاش بين المؤرخين حول صحة بعض الوثائق وأصالتها، باعتبار أنها تخدم الكاثوليكية صراحة، والتي إذا سلمنا بها حرفيا فإنها تبرز أن المنشقين كانوا خليطا من مغامرين حاولوا خداع الكثير من مسيحيي المغرب القديم بإتباع أسلوب المغالطات والادعاءات الملفقة والأكاذيب [1].

تبرز مختلف الشهادات التي أشارت إلى بداية الانشقاق، أن اضطهادات الإمبراطور "ديوكليتيانونس" *Dioclétianus* للمسيحيين في بلاد المغرب القديم خلال الفترة (303- 305م) أدت إلى ارتداد الكثير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية [2] التي ظلت دائما متحدة كما وصفها القديس "سبريانوس" *Saint-Cyprianus* بقوله: « ***الكنيسة الكاثوليكية واحدة*** » (*De Catholicae Ecclesiae Unitate*) والتي أصبحت مهددة نتيجة هذه الإضطهادات العنيفة مع بداية القرن الرابع الميلادي، وأدت إلى ضعف همة الكثير من رجال الدين أمام هذا التهديد، حتى أنهم سلموا نسخ من الكتاب المقدس إلى السلطات الرسمية المنفذة للاضطهاد، فاعتبروا لدى المنشقين "متخاذلين" (*Traditores*) وعلى العكس من أولئك

(355-392م) ألف كتابا ضد الكنيسة الكاثوليكية يرجح أنه كان بعنوان: "ضد كنيسة المتخاذلين" Adversus Ecclésiam Traditorum" ورد عليه أوبطاتوس الميلي في كتابه: De Schismate Donatistarum "ضد الانشقاق الدوناتي" والذي كتبه في حوالي سنة 366م. Monceaux (P.) , H.L.A.C., V, pp.241-263.-

[1] -Duchesne (L.), Op, cit., p. 627.

[2] - **الكنيسة**، من **الإكليزيا**، (Ecclésia)، وهي لفظ يوناني كان يطلق على الجمعية الشعبية في حكومة البلديات، وقد أطلقه المسيحيون على تلك الحجرات الخاصة أو المعابد الصغيرة التي كانوا يجتمعون فيها على غرار المجامع اليهودية. ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على المبنى ابتداءا من القرن الرابع الميلادي. والمقصود بها هنا هي كنيسة قرطاجة التي وضع أسسها القديس سبريانوس في بداية القرن الثالث الميلادي. Chevallier (R.), Dictionnaire de la littérature latine, Paris, Larousse, 1968, p.899

"المرتدين– *Lapsi* "[1] والمتخاذلين، صمد الكثير من المسيحيين بشجاعة أثناء تلك الأزمة، فأودعوا سجون قرطاجة، بل أعدم الكثير منهم[2].

أما المقرون بعقيدتهم(*Confessores*) فقد اتخذوا موقفا متطرفا من المرتدين والمتخاذلين، ورفضوا التعامل معهم بأي شكل من الأشكال بعد انتهاء الإضطهاد سنة 305 م[3]. وكان من ضحايا هذا الاضطهاد شهداء قرية "أبيتينا [4] *Abitina*" بالقرب من قرطاجة في 12 فيفري سنة 304م، الذين اتهموا بعقد اجتماعات ممنوعة. فبعدما استنطقوا تعرضوا للتعذيب ثم أودعوا السجن بقرطاجة، وقرروا طرد كل المسيحيين المتخاذلين الذين ضعفوا أيام الاضطهادات، وأصدروا بيانا "ميثاق شهداء أبيتينا"(*act martyrum*) واعتبر بمثابة قانون، وهو يدعو إلى ضرورة انفصال "الشهداء *Martyres*" عن كل المتخاذلين، وطلبوا من كل المسيحيين الأطهار الإلتزام به وتطبيقه. وقد تمخضت الدوناتية ووجدت تبريرها التاريخي من خلال هذا الانفصال، فكان الدوناتيون يدّعون دوما أنهم خلف الشهداء، وأن خصومهم هم "أبناء المتخاذلين"[5].

---

[1]- **Lapsi** ، من الفعل اللاتيني : (Labor, Lapsus Sum) ويعني "الذين أخطأوا" أو "الذين سقطوا". Félix – Gaffiot, Op.cit., pp. 353, 357.

[2] – Brisson (J.P.), Op.cit, pp. 70- 71, 156.

[3]- سببت هذه الاضطهادت خلافات حادة بين المسيحيين في المغرب القديم، وذلك بعد اضطهادات الإمبراطور دكيوس "Décius" (249- 250م). Warmington (B.H.), The North African provinces from Dioclétian to the Vandal conquest, Cambridge, 1954, p.78.

[4]- **أبتينا**، Abitina/ Avitina/ Abithina ، مدينة صغيرة في حوض نهر المجردة، هي خرائب "شهود الباطن" حاليا قرب مدينة مجاز الباب بتونس، Beschaouch (A.), « Sur la localisation d'Abitina… », C.R.A.I., 1976, pp. 255- 266 ; Toulotte (Mgr.), Géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie, Typographie Oberthur, Rennes-Paris, 1892, pp. 108- 108.

[5]- Allard (P.), la persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église, Victor Lecoffre, Paris, 1900, t. I, IV, pp.261-273.

وأهم ما جاء في البيان: « ***إن كل من اتحد مع الخونة والمتخاذلين، لن يكون في صفنا، ولن يشاطرنا العيش في ملكوت السموات.*** » [1]. لقد أحدث هذا البيان صدى مؤثرا في مناطق كثيرة من المغرب القديم وخاصة في نوميديا، وأصبح سلاحا ضد "مونسوريوس" *Mensurius* [2] وأنصاره.

ومنذ أحداث قرية أبيتينا *Abitina* سنة 304م بدأ الانشقاق يتسع في الكنيسة الإفريقية، الذي اتضحت معالمه بعد انتهاء الاضطهاد ببضع سنوات(311–312م)، خاصة اضطهادات ديوكليتيانوس التي تركت أثراً عميقاً في المغرب القديم، تمثل في حدوث الانشقاق في الكنيسة الإفريقية.

وتشير الوثائق –المذكورة آنفا–إلى أن الخلافات كانت عميقة، من ذلك الإعتراض عن قررات المجمع الكنسي الذي عقد بمدينة سيرتا (*Concili Cirtensis*) في 5 مارس 305م، لتعيين أسقف جديد للمدينة بعد وفاة الأسقف "بولوس" *Paulus*[3]، وقد تم انتخاب نائب الشماس سيلفانوس "*Silvanus*" [4] كأسقف جديد لمدينة سيرتا، رغم معارضة الكثير من رجال الدين ووجهاء المدينة، الذين اتهموه بالخيانة[5]. ويبدو أن الرفض امتد أيضا إلى نوميديا. وقد انعقد مجمع سيرتا بقيادة الأسقف سكوندوس "*Secundus*" بحضور اثنى عشر (12) نوميديا. إن الأساقفة المجتمعون في سيرتا سنة 305م قد أصبحوا بعد مرور سبع سنوات مؤسسي الكنيسة المنشقة الأساسيين

---

[1]--Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 12- 13, V, p. 4.

[2]- **مونسوريوس** (Mensurius)، أسقف قرطاجة في بداية القرن الرابع الميلادي، ذكره أوبطا الميلي والقديس أوغسطين، وقد اتهمه الإمبراطور ماكسينتيوس (Maxentius) بعدم تسليم الكاهن فليكس (Félix) ولكي يبرئ ساحته لبى دعوة الإمبراطور بزيارة روما، و توفي في طريق عودته من روما سنة 311م. -Toulotte (Mgr.), Op.cit, pp. 84.

[3]-Optat (St.), I, 13- 14, d'après Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 13

[4]- **سيلفانوس**، هو أحد الأساقفة الذين طعنوا في انتخاب كايكيليانوس أسقف قرطاجة، وعينوا مكانه ماجورينوس Majorinus الذي خلفه دوناتوس الأكبر (Donatus le grand). -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 28.

[5]-Monceaux (P.), Ibid., IV, p. 13.

في سنة 312م، حيث قاموا بسيامة أسقف قرطاجة، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم "القديسين" (*les Saints*) و"الأطهار" (*les Purs*) [1].

كانت بداية التحول في تاريخ الكنيسة في المغرب القديم بوفاة "مونسوريوس" أسقف قرطاجة سنة 311م أثناء عودته من روما [2]. وكان قد لبى دعوة رسمية وجهت له من قبل الإمبراطور، وقبل أن يسافر عزم على أن يضع كنوز الكنيسة في مكان آمن، بعد أن وضع قائمة جرد، عهد بها إلى امرأة عجوز وطلب منها أن تسلم هذه الوثيقة إليه بعد عودته أو إلى من سيخلفه.

والتقى "مونسوريوس" بالإمبراطور ومجموعة من الأمراء بروما وهو حدث غير مسبوق في علاقة السلطة الزمنية بالمسيحية. لكن بعد وفاته بدأت مشكلة البحث عن خليفة له–في ظل مكائد ومؤامرات–وتسبب ذلك في صراع حول الكرسي الأسقفي تطور فيما بعد إلى انشقاق في الكنيسة الإفريقية [3].

في هذه الأثناء عين "كايكليانوس" (*Caecelianus*) أسقفا جديدا لقرطاجة الذي كان شماسا (*Diaconus*) لدى "مونسوريوس"، غير أن هذا التعيين ("السيامة" *Ordinatio*) تم في غياب كبير أساقفة نوميديا، مما يعد خرقا للأعراف والتقاليد المعمول بها في الكنيسة الافريقية. وقد توجه "سكوندوس"– جثليق نوميديا– (*Episcopus Primae Sedis*) إلى قرطاجة للاحتجاج على هذا الخرق رفقة مجموعة من أساقفة نوميديا، وطعنوا في سيامة

---

[1]- الأساقفة النومید هم: دوناتوس" Donatus من "ماسكولا" Mascula (خنشلة حاليا)، و"فيكتور" Victor من "روسيكاد" (Rusicade) سكيكدة حاليا، و"مارينوس" Marinus من" أكوا تبيلتانايي" Aquae Tibilitanae "حمام دباغ" حاليا قرب قالمة، ودوناتوس Donatus من كالاما (Calama) "قالمة حاليا"، وبوربوريوسPurpurius من ليماتا Limata، و"فليكس" من روتاريوم Rotarium و"نابور" Nabor من كونتوريونيس Centuriones، وكان معظمهم حديثي عهد بالدوناتية. - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 13.

[2]-Optat (St.), I, p 17.

[3]-Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 17.

كايكيليانوس لكونها تمت- حسب اعتقادهم- على يد شرذمة من الأساقفة المتخاذلين إبان الاضطهاد[1].

وفي مدينة قرطاجة، عجز "كايكيليانوس" عن تحقيق الإجماع، بحيث اتهمه المتطرفون بسوء معاملته للمسيحيين خلال فترة الاضطهاد، حيث كان يقوم بحراسة السجون، وكان يمنع إخوانهم في الدين من زيارتهم ومواساتهم، وترك المقرون بعقيدتهم يموتون جوعا، لذلك لقب بالجلاد "*Eudinepisus*" وهو لقب معيب وشائن ذو أصول لغوية بونية [2].

يتضح مما سبق أن مصالح المتطرفين القرطاجيين المناوئة لكايكليانوس، مع ادعاءات الأساقفة النوميديين، كرست الانقسام والانشقاق في الكنيسة المسيحية الإفريقية.

ووجهت الاتهامات أيضا إلى "فليكس" *Felix* أسقف "أبثوكني" [3] *Abthugni* بالخيانة والتخاذل أثناء الإضطهادات[4]. وإلى الكاهنين "بطرس" (*Botrus*) "وكايلستيوس" (*Caelestius*) بقرطاجة الذين أتهما بتعيين وسيامة كايكيليانوس أسقفا جديدا لقرطاجة [5].

لذلك توجه سبعون(70) أسقفا نوميديا إلى قرطاجة في 312م وانتخبوا الأسقف "ماجورينوس" [6] (*Majorinus*) أسقفا لكنيسة قرطاجة، بعد إدانة

---

[1] - Monceaux (P.), Ibid, IV, pp. 16- 17.

[2]-Brisson (J.P.), Op.cit, pp. 126-127 ; Raynal (D.), « Culte des martyres et propagande-Donatiste à Upenna », C.T., T.XXI, n° 81- 82, 1973, pp. 46- 47.

[3]- خرائب **أبتوكني** (Abthugni): هي مدينة صغيرة مجاورة لمدينة قرطاجة تعرف حاليا باسم "هنشير السوار" (Hr.Es-Souar) جنوب مدينة زغوان بتونس. - Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne, Ruines Antiques et évêchés, Paris, Ernest Leroux, 1912, P.277.

[4]- Jacques-Paul (dir.) - Pluquet - abbé J.-Jh. Claris, Dictionnaire des Hérésies, des erreurs et des schismes, t. I., Ateliers catholiques, Paris, 1847, pp. 646- 647.

[5] -Mourre (M.), Dictionnaire encyclopédique d'histoire, Bordas, 1978, p.1408.

[6]- **ماجورينوس** (Majorinus): أسقف دوناتي اشتهر بالخطابة والفصاحة، انتخب أسقفا لمدينة قرطاجة بعد إدانة كايكيليانوس، لم يذكره أوبطا الميلي بعد انتخابه وسيامته سنة 312م، أما أوغسطين فقد ذكر أنه لا زال على قيد الحياة حتى سنة 313م ، ويرجح أنه مات أثناء انعقاد مجمع روما في 2 أكتوبر 313م. - Optat (St.), I, 19.

الشماس "كايكيليانوس" وعدم الاعتراف بشرعيته على كرسي الأسقفية [1] وأمروه بالمثول أمام المجمع للمحاكمة بتهمة الخيانة وتقديم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية[2]، لكنه رفض وأصر على شرعيته، من هنا بدأ الانشقاق في الكنيسة الإفريقية وأخذ يكتسي طابع العلنية وينتشر في كامل المغرب القديم[3]، وإن كانت جذوره تعود إلى أحداث قرية أبتينيا سنة 304م. وتذكر المحاضر الرسمية بخصوص المفاوضات التي دارت بين "كايكيليانوس" والقساوسة النوميديين الذين وجهت لهم التهم، أنه حاول تبرئة ذمته وطلب منهم أن يقدموا أدلة إدانته إن كانت لديهم أدلة [4].

تشير المحاضر أن امرأة غنية ذات أصول إسبانية تدعى "لوكيلا" [5] (*Lucilla*) لعبت دورا هاما في عدم الاعتراف بانتخاب كايكيليانوس وسيامته وتعيين القارئ *lector* "ماجورينوس" مكانه، وذلك بعقد المجمع المناهض له في بيتها بقرطاجة سنة 312م، والذي تحول إلى مقر لحبك الدسائس وعقد اجتماعات الساخطين[6]، وحضره سبعون (70) أسقفا نوميديا، وبعض زعماء بروتوكول سيرتا (305م).

وإذا كان أوغسطين [7] قد اتهم "لوكيلا" في حوالي سنة 400م –استنادا إلى تحقيقات جرت بعد سيامة "ماجورينوس"– بأنها قامت بشراء ذمم بعض

1- Optat (St.), I, 19.
2- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 19.
3- Gsell (S.), l'Algérie dans l'Antiquité, Adolphe Jourdan, Alger, 1903, p. 113.
4-Optat (St.), I, 19- 20.

5- **لوكيلا** " **لوسيلا**" (Lucilla)، امرأة قرطاجية من أصول أسبانية، وحسب ما ذكره أوبطا الميلي فإن سبب الخلاف بينها وبين كايكليانوس يعود إلى غضب لوكيلا من مطران قرطاجة، التي لم تتقبل نصائحه بعدم تقبيل عظم بشري تعتقد أنه لشهيد، وكان المطران منشغل بتنظيم وتقنين عبارة "رفات القديسين"، ويتهمها أوغسطين بأنها قامت بشراء ذمم أساقفة نوميديا لإدانة كايكيليانوس وتعيين ماجورينوس. - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 15- 16.

6- Optat (St.), I, 18- 19

7– **أوغسطين**، (Aurelius Augustinus)، (354–430م) ولد في تاغاست (Thagaste) "سوق أهراس حاليا" في أسرة متوسطة الحال، كانت أمه " مونيكا" (Monique) مسيحية وأبوه "باتريك" (Patrice) وثنيا، درس في تاغاست ثم في

قساوسة المجمع، واستطاعت أن تحقق هدفها بإدانة "كايكيليانوس" وانتخاب "ماجورينوس" [1]. فإن "مارتروي" (*Martroye*) أرجع الخلاف بين "كايكيليانوس" ولوكيلا إلى أحقاد شخصية، حيث قامت هذه الأخيرة بتحريض النوميديين ضد "كايكيليانوس" الذي يكون قد لامها فيما مضى حينما كان شماسا [2].

وحسب اعتقادي فإن هذه الخلافات بين "كايكيليانوس" و"لوكيلا" قد تعود إلى أحقاد شخصية ودوافع ذاتية، بقدر ما هي خلافات عميقة بين كنيسة نوميديا وكنيسة قرطاجة بزعامة "مونسوريوس" ثم كايكيليانوس فيما بعد، والمتهمين بالخيانة والتواطؤ والتخاذل أثناء فترة الاضطهاد، وبتسليم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الرومانية الوثنية. وبعد وفاة ماجورينوس أثناء انعقاد مجمع روما سنة 313م، خلفه الأسقف "دوناتوس الأكبر"[3]

مداوروش (Madauros) ثم انتقل إلى قرطاجة لإتمام تعليمه العالي فاعتنق المانوية وعاد إلى تاغاست لنشر هذا المذهب. سافر إلى روما واستقر في ميلانو حيث أصبح أستاذا للبلاغة. تأثر بالقديس أمبرواز (St.Ambroise) فاعتنق المسيحية وتم تعميده في 24 أفريل سنة 387م وهو في الثلاثين من عمره. بعد وفاة أمه عاد إلى تاغاست وعاش حياة الرهبنة، أصبح كاهنا ومستشارا لأوريليوس (Aurelius) أسقف قرطاجة وبعد خمس سنوات أصبح أسقفا لهيبون (Hippone)، وظل في منصبه مدة خمس وثلاثين سنة الى أن توفي سنة 430م. Augustin (St.), les Confessions, trad. par Joseph Trabucco, Paris, G.F. Flammarion, 1964, pp.7-11, 116,118 ; Biéchy (A.), l'Afrique au IVe siècle, lmp. Barbou Frères, Limoges, 1875, pp 7-15 ; Gustave Bardy, Saint-Augustin, l'homme et l'œuvre, 4°édit., Desclée de Brouwer, Paris, 1940, p.1-15.

[1] -Augustin (St.), Cont. Epist. Parmen., 43, 6,17 ; Contra Cresconium, III, 28- 29.

[2]-Martroye (F.), « une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et circoncellions », R.Q.H., T.32, 1904, p. 361.

[3]- **دوناتوس:** (Donatus)، أكد الدوناتيون في مناظرة قرطاجة سنة 411م أن هناك شخصين يدعيان دوناتوس، الأول دوناتوس "الديار السوداء" Donatus Casae Nigrae من مدينة بغاي Bagai (قرب خنشلة حاليا) بنوميديا، وهو الذي صدر في حقه أول حكم ضد الدوناتية في مجمع روما سنة 313م، والثاني دوناتوس "الأكبر" المعروف بالقرطاجي Donatus le Grand الزعيم الدوناتي المشهور الذي نظم وقاد الكنيسة الدوناتية لمدة 40 سنة إلى غاية وفاته حوالي سنة 355م . - Martroye (F.), une tentative de révolution, sociale , Op.cit., p. 368.

لكن بعض المؤرخين المحدثين يتفقون على شخص واحد يحمل هذا الاسم ومنهم بريصون ومونصو:

- Brisson (J.P.), Autonomisme et christianisme…, Op.cit, p. 237.

(*Donatus*)، الذي أعطى اسمه للدوناتيين (*Donatismus*) وكان يملك صفات القائد، فأسس ودعم–باستعمال كل الوسائل–الكنيسة الجديدة [1].

وقد اعتبر دوناتوس الكنيسة الجديدة هي الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية وسماها "كنيسة الشهداء"، وبذلك ظهرت الحركة الدوناتية التي حملت اسمه والتي عرفت أيضا بـ "حزب دوناتوس" (*Pars Donati*)[2]. وهكذا انقسمت الكنيسة المسيحية وتكتل كل فريق لمواجهة الفريق الآخر، فتزعم "كايكيليانوس"[3] (*Caecelianus*) الكنيسة "الكاثوليكية"، وهي حليفة السلطة الزمنية، أما الكنيسة "الدوناتية" فترأسها الأسقف "دوناتوس" [4] (*Donatus*). وسرعان ما دعمت السلطة الزمنية الكنيسة الكاثوليكية بشكل عام، في حين اضطهد معظم الأباطرة الرومان الكنيسة الدوناتية.

واتجه كل فريق إلى الدفاع عن وجهة نظره وقناعاته، فالدوناتيون سعوا بكل الوسائل إلى إلصاق التهم بالكاثوليك، والكاثوليك سعوا بدورهم إلى نعت الدوناتيين بكل النعوت التي تجعلهم خارجين عن الكنيسة، وأدى هذا الصراع إلى الصدام الفكري خاصة وأن الدوناتيين رفضوا–في أغلب الأحيان–المناظرة المباشرة مع الكاثوليك الذين كانوا يصفونهم بالمتخاذلين والمضطهدين [5].

-Monceaux (P.), « les premiers temps du donatisme et la Question des deux Donat », in C.R.A.I., n° 1, 1916, p.50.

[1]- Optat(St.), III, 3.

[2]- Optat (St.), I, 22, 26 ; Augustin (St.), Contra. Cresconium, II, 1, 2 ; IV, 6, 7.

[3]- ظل كايكيليانوس على رأس أسقفية قرطاجة إلى غاية وفاته سنة (337م– 340م) وخلفه "روفوس" Rufus (الذي توفي حوالي سنة 342م– 343م) -Maier (J.L.), l'épiscopat de l'Afrique Romaine, Vandale et Byzantine, Bibliothéca Helvetica Romana, XI, Institut Suisse de Rome, 1973, p. 95, 453.

[4]- بقي دوناتوس الأكبر على رأس أبرشية قرطاجة إلى غاية 347م حيث نفي، ومكث في المنفى حتى توفي في حوالي Brisson - خلال الفترة (363م – 392م).Parmenianusسنة 355م، وظل منصبه شاغرا إلى أن خلفه بارمنيانوس (J.P.), Autonomisme et christianisme …, Op.cit, p. 247.

[5] -Lancel (S.), Actes de la Conférence de Carthage en 411, T. I : Introduction, S.C., n° 194, Paris, 1972, pp. 9- 25.

وقد رفض الدوناتيين حضور مناظرة قرطاجة سنة 411م-التي قرر الإمبراطور نفسه عقدها بين الكاثوليك والدوناتيين-إلا مرغمين وتحت التهديد. وأدى ذلك إلى تطور الجدل الكلامي بين مفكري الكنيستين، وبروز مفكرين [1] وشخصيات فذة من هذا الجانب أو ذاك، بعضها لعب أدوارا أساسية في تطور الفكر المسيحي برمته، ونقصد بذلك على الخصوص القديس أغسطين [2].

يمكن القول أن ظهور الدوناتية في المغرب القديم في بداية القرن الرابع للميلاد، يعود إلى مجموعة من الأسباب أبرزها: أن الأساقفة النوميديون طعنوا- وعلى رأسهم الجثليق سوكوندوس (*Secundus*)- في سيامة أسقف قرطاجة "كايكيليانوس" وبعض الأساقفة الذين انتخبوه في هذا المنصب، بتهمة تسليم الكتب المقدسة والأواني الكنسية إلى السلطة الرومانية الوثنية أثناء "الاضطهاد الأكبر" في عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس (303-305م)، وقد ظل الدوناتيون يصفون الكاثوليك بكنيسة "المتخاذلين" *Traditores*، وينعتونهم أيضا بحزب "كايكيليانوس" (*Pars Caeciliani*)، ولم ينعتوهم "بالكنيسة الكاثوليكية" أبدا لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحابها الحقيقيين.

هكذا تميز تاريخ العلاقة بين المسيحية والسلطة الرومانية على مدار ثلاثة قرون من الزمن بالعداء الشديد، وضراوة الصراع، فقد سعت السلطة الزمنية للقضاء على جذور المسيحية في المغرب القديم، وكانت تنظر إليها على أنها عامل هدم لأركان الإمبراطورية الرومانية.

2-جذور الصراع الدوناتي الكاثوليكي:

1- من الشخصيات التي كان لها تأثير على الفكر المسيحي، الفقيه الدوناتي "تيكونيوس" Tyconius الذي انفصل عن الدوناتيين، لكنه لم يلتحق بالكاثوليك، والذي كان له تأثير على أوغسطين. Congar (Y.), Note complémentaire - « Parmenianus et Tyconius », B.A., 28, p 718- 721.,n° 10.

2- Congar (Y.M.J.), B.A., 28, pp. 80- 124 ; Brisson (J.P.), Op.cit, p. 84.

تفاقمت أوضاع المغرب القديم في عهد الإمبراطور قسطانتيوس[1] (*Constantius*) الذي خلف والده قسطنطين (*Constantin*) المتوفى في 22 ماي سنة 337م [2]. وكان يعتقد أنه سينجح فيما فشل فيه والده، لذلك حاول السير على خطاه، فأصدر قانون إمبراطوري سنة 338م موجه إلى الأفارقة [3]، منتهجا سياسة المهادنة واللين فأرسل في سنة 347م محافظين إلى المغرب القديم هما: "بولوس" (*Paulus*)، و"ماكاريوس" (*Macarius*) [4] وكلفهما بتحقيق الوحدة الدينية بين الكنيستين المتعاديتين واستمالة المتعصبين من الدوناتيين – حسب ما أشار إلى ذلك أوبطا الميلي–عن طريق الإقناع أو الإستمالة، بتوزيع المساعدات والمؤن على مختلف الطوائف، بل ومنح الهدايا إلى العناصر المؤثرة في حزب دوناتوس. لذلك عرف "بولوس" و"ماكاريوس" في تلك الفترة بـ " بناة الوحدة" (*Operarii Unitatis*) [5].

يعتبر إعلان الإمبراطور "قسطانتوس" عن قرار الوحدة، استمرارا لقانون والده "قسطنطين" المعلن سنة 316م والذي لم يكن ملغى أو منسوخا صراحة منذ صدوره، لكن تطبيقه بقي معلقا بصدور مرسوم التسامح سنة 321م [6]. وتم

---

[1]-**قسطانتيوس** (Flavius Julius Constantius) ، (317– 361م) إمبراطور روماني (337– 361م) الإبن الثاني لقسطنطين ورث العرش عن أبيه سنة 337م واقتسم مع أخويه : قسطنطين II وقنسطانس Constance الشرق واليونان، عرف بوحشيته، توفي وهو في طريقه إلى مقاومة القيصر "جوليان– Julien" المرتد الذي أعلن نفسه إمبراطورا. - Bouillet (M.N.), Dict. Univ.Hist.Géo, Op.cit., p. 451.

-[2]- Martroye (F.), la répression du Donatisme et la politique religieuse de Constantin et de ses successeurs en Afrique, M.S.N.A.F., 1914, p. 392 ; Augustin (St.), (B.A.28, pp. 171- 177).

-[3]- Cod. Théod., IX, 34, 5.

[4]- **بولوس و ماكاريوس**، مبعوثان إمبراطوريان أرسلهما الإمبراطور قسطانتوس وكلفهما بتوزيع المؤن سنة 347م في المغرب القديم خاصة في نوميديا معقل الدوناتية لمحاولة إقناع الدوناتيين بالرجوع إلى الوحدة الدينية الكاثوليكية، لكن دوناتوس لم يستقبلهم بل أمر الفقراء برفض المساعدات المقدمة لهم. وقد اشتهر مكاريوس بعنفه في معاملة الأساقفة الدوناتيين خلال قيامه بمهمته.- Monceaux (P.), H.L.A.C.,IV, p.34 .

-[5]- Optat (St.), I, 6- 7, III, 9- 10 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p.292.

-[6]- Cod. Theod., XVI, 6, 2.

تنفيذ مرسوم الوحدة في مقاطعات البروقنصلية وبيزاكينا (*Byzacène*) والطرابلسية (*Tripolitaine*) دون أية مقاومة [1]. ربما يعود ذلك لقلة عدد المنشقين في هذه المقاطعات، حيث لم يكونوا يشكلون مجموعات ملتحمة ومتماسكة، أو أن الثلاثين (30) سنة من السلم والأمن والازدهار التي عرفها المغرب القديم من 321م إلى 347م أفقدتهم نوعا من حيويتهم.

أما أحداث العنف الدموية فقد جرت في قرطاجة – على عكس المقاطعات المذكورة آنفا–التي كانت تضم الكثير من المنشقين، حيث تعد العاصمة الرسمية للدوناتية، ومقر إقامة الزعيم الدوناتي، ومكان انعقاد المجامع الكنسية، ومركز النشاط السياسي للحركة [2].

وقد بدأ العنف حينما علق قرار بروقنصلي بقرطاجة في 15 أوت سنة 347م يتعلق بتوحيد الكنيستين، فقام أحد الدوناتيين يدعى "ماكسيميانوس" (*Maximianus*) بتمزيقه، فأوقف وتم تعذيبه في السجن، ولقي زميله "إسحاق" (*Isaac*) الذي شتم الكاثوليك نفس المصير. وبعد تعذيبهما ألقيا في البحر الذي لفظ جثتيهما فانتشلهما الدوناتيون فيما بعد. وفي نوميديا، أثار موسوم "قنسطانس" حربا دينية حقيقية، حيث اعتبرت الدوناتية في ثاموقادي (*Thamugadi*)، وتيفست (*Theveste*)، وبغاي (*Bagai*) ديانة وطنية. ذلك أن الطوائف المنشقة في هذه المناطق كانت أكثر عددا وقوة من الكاثوليك. وكانت مدينة بغاي من أهم المناطق المعارضة لقرار الوحدة. فقام دوناتوس بتنظيم الدفاع على المدينة، واستعان بالثوار الريفيين "الدوارين"، *circoncellions* ونشر إعلانا في تخوم نوميديا يدعو فيه المسيحيين للدفاع عن كنائسهم [3].

-[1].- Optat (St.), III, 4

-[2] Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 125..

-[3]- Monceaux (P.), Ibid., IV, P. 36 ; Pallu de Lessert, Fastes des provinces Africaines sous

فحصن مدينة بغاي وحول كنائسها إلى مخازن للحبوب وجمع المؤن استعدادا للمواجهة. ولما بلغت هذه الأخبار المحافظين أن دوناتوس قام بالتحضير للحرب، طلبوا مساعدة كونت (*conte*) [1] إفريقيا سلفستر [2] (*Silvestre*). فسارت فرقة من الجيش بقيادة أسقف إلى مدينة بغاي، وفي ضواحيها تلقت هذه الفرقة إهانات من قبل الدوناتيين، فما كان على الجيش إلا أن قضى عليها [3]. وشهدت بغاي بعدها مواجهات دامية بين الجيش والدوناتيين في صيف سنة 347م، ويحتمل أن دوناتوس بغاي لقي حتفه أثناءها، وتم تكريمه فيما بعد كشهيد [4].

وفي تلك الأثناء، انعقد مجمع إقليمي دوناتي في نوميديا في صيف سنة 347م، بهدف الاحتجاج على أعمال العنف التي قادها "ماكاريوس" (*Macarius*)، والدعوة إلى استعادة السلم والأمن في المنطقة، وعن هذا التدخل لرجال الكنيسة المنشقة قال أحد كتاب الحركة الدوناتية:« **اجتمع أساقفتنا وقرروا إرسال عشرة من ألمع الأساقفة إلى ماكاريوس، وحملوا له تحذيرات شديدة، حتى يتوقف عن جرائمه التي راح ضحيتها الكثير من أنصارنا في ساحة هذه المعركة الدينية.** » [5]

اجتمع هؤلاء الأساقفة بالمبعوث الإمبراطوري ماكاريوس في مدينة "فيجيزيلا" (*Vegesela*) [6] "قصر الكلب" (شمال الأوراس حاليا) بين مدينة

---

la domination Romaine, t. 2, Paris, 1901, p. 243.

[1]-**الكونت** (Conte)، منصب استحدثه الإمبراطور قسطنطين الذي عين عددا من أتباعه في مهام متنوعة: مالية، عسكرية وإدارية بجانب الحكام والولاة، وكان كونت إفريقيا يعوض الوالي (Vicerius) أو يعمل قائدا للجيش.

[2]- **سلفستير** (Sylvestre)، قديس كاثوليكي، من مواليد روما، عين بابا من 314 إلى 336م، تميزت فترة حكمه بنهاية الاضطهاد، وانعقاد مجمع نيقية (Nicée) سنة 325م أول مجمع مسكوني.- Petit (P.), Histoire Générale de l'empire Romain, t. I, le Haut- Empire (27 av. J.C.- 161 ap. J.C.), Paris, Seuil, 1974, pp.73-74.

[3]- Optat (St.), III, 4.

[4]-.- Optat (St.), III, 6 ; Augustin (St.), Contra. Litter. Petil., II, 20, 46

[5]- Passio Marculi, p. 761; d'aprés Monceaux (P.), H. L .A. C., IV, pp. 335- 336.

[6]- عن مطابقة فيجيزيلا مع قصر الكلب أنظر:

تيفست (*Theveste*) (تبسة حاليا) وماسكولا (*Mascula*) (خنشلة حاليا) وبذلوا كل الجهد لاستعادة السلم، إلا أن تصرفهم اتسم بالفظاظة فكان رد "ماكاريوس" عنيفا إذ أمر بضربهم بالعصي، وزجهم في السجن [1]. أثارت هذه الأحداث غضب سكان منطقة فيجيزيلا الذين دخلوا في مناوشات مع جيش "ماكاريوس" فسقط عدد من الضحايا منهم "فليكيانوس" (*Felicianus*) الذي قتل في 29 جوان سنة 347م بمدينة فيجيزيلا [2]، مما دفع المبعوث الإمبراطوري إلى إطلاق سراح تسعة أساقفة الذين أرسلهم مجلس سيرتا واحتجز الأسقف العاشر الذي كان أكثرهم صلابة، ويدعى "ماركولوس" (*Marculus*) الذي طاف به في عدة مدن نوميدية ثم قتله بأن ألقى به من أعلى جرف. وقد ادعى الكاثوليك بعد مقتله أنه انتحر في مدينة "نوفابترا" [3] (*Nova Petra*) في 24 نوفمبر سنة 347م [4].

وقد أشار أوبطا الميلي أن الدوناتيين أكدوا فيما بعد أن جلادي "مكاريوس" ألقوا به حيا من أعلى أحد الجروف وأصبح قبره فيما بعد محجا للكثير من الدوناتيين [5]. والحقيقة أن مرسوم قنسطانس أثار غضب كثير من سكان المغرب القديم–حسب ما ذكره أوغسطين–، ومع انتشار القمع أدى ذلك

1.- Monceaux (P.), H. L .A. C., IV, p. 37

2- Birebent (J.), Aquae Romanae, service des antiquités de l'Algérie, 1961, pp. 364- 365 ; Gsell (S.), Notes d'archéologie Algérienne, B.C.T.H., 1899, p. 455 ; Id., A.A.A., f. 28, n° 171.

3- **نوفابترا** (Nova Petra) ، تعني الصخرة الجديدة، وهي منطقة تبعد عن ديانا (Diana Veteranorum) زانة حاليا شمال باتنة بحوالي 20 كلم ، وبحوالي 22 كلم عن جميلاي Gemellae (القصبات حاليا)، اعتبرت مدينة مقدسة لدى الدوناتيين بعد مقتل ماركولوس. -Tissot (Ch.), Géographie Comparée de la province Romaine d'Afrique, Paris, 1888, II, p. 509 ; Gsell(S.), A.A.A., f.27, n° 3, 62 ; Ragot (W.), «le Sahara de la province de Constantine », R.S.A.C., XVI, 1873- 1874, p. 228.

4-en (Ch.A.), Op.cit., p. 217

5- Optat (St.), III, 6 ; Augustin (St.), Cont. Litter. Petil., II, 20, 46.

إلى فرار أغلب الأساقفة ورجال الدين الدوناتيين مع أتباعهم من قرطاجة ونوميديا إلى مناطق أكثر أمنا [1].

وقد نشبت معارك طاحنة خلفت عدة ضحايا أضيفوا إلى قائمة الشهداء في فترة عرفها الدوناتيون "بزمن ماكاريوس" (*Macarius Tempora*) [2]. ويذكرنا الانشقاق الماكسيمياني بميلاد الدوناتية في بداية القرن الرابع الميلادي، « **فالانشقاق يولد الانشقاق، تلك هي إرادة الله** » حسب ما ذكره أوغسطين [3].

إن الاعتقاد بتدخل العناية الإلهية أعاد الثقة إلى الكاثوليك، فبعد ثلاثة أشهر من انعقاد مجمع "كابرسوسة"، انعقد مجمع كاثوليكي موسع بهيبو– ريجيوس (*Hippo- Régius*) (عنابة حاليا) مدينة أوغسطين في 8 أكتوبر 393م، برئاسة الأسقف القرطاجي " أوريليوس" (*Aurelius*) [4]. يبدو أن هذا المجمع أعاد تنظيم الكنيسة الإفريقية، وأقر عدة إصلاحات وقوانين تستهدف الدوناتية، منها قانونين هما:

1–احترام كرامة رجال الدين الدوناتيين الذين عادوا إلى الكاثوليكية ولم يعمدوا ثانية.

2– سيامة المهتدين والتائبين الذين عمدوا في طفولتهم من طرف المنشقين وأن يصبحوا رجال دين [5].

-[1]- Augustin (St.), Lettres, LXXXVIII ; Julien (Ch. A.), Op.cit. p.217.

-[2].- Optat (St.), III, 1

[3]- Augustin (St.), Epist., XLIII, 9, 26. -

[4]- **أوريليوس (Aurélius)** : أسقف كاثوليكي، ترأس مجمع هيبو– ريجوس (Hippo- Regius) "عنابة حاليا" سنة 393م، وكان خصما عنيدا للأسقف الدوناتي بريميانوس (Primianus) ويعتبر مجمع هيبون أول مجمع كاثوليكي يترأسه من بين المجامع العشرين (20) التي شارك فيها. - Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne…, p.5.

[5].- -Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, P. 60

يبدو أن القوانين الكنسية السابقة الذكر، إما أنها مستوحاة من أوغسطين أو أن مجمع هيبون هو الذي اقترح عليه فكرة مقاومة الانشقاق باستعمال كل الوسائل، حتى تستعيد كنائس المغرب القديم أمنها ووحدتها الدينية. لقد انضم أغلبية الدوناتيين – بالرغم من ذلك–إلى "بريميانوس" الذين استجابوا لنداءه حينما دعاهم في سنة 394م، إلى معقل الدوناتية في نوميديا، مدينة بغاي [1] (*Bagai*) التي احتضنت مجمعا عاما ضم كل المقاطعات الإفريقية، (*Concilium Plenarium , Universale*)، فحضر هذا المجمع ثلاثمائة وعشرة (310) من الأساقفة البريميانيين برئاسة بريميانونس نفسه، وأصدروا في 24 أفريل سنة 394م الأحكام الآتية:

حرم وخلع ماكسيميانوس، مع اثنى عشر (12) أسقفا من الذين أشرفوا على سيامته، وعزل كل رجال الدين المتمردين في قرطاجة، وتهديد كل المنتسبين إلى حزب الماكسيميانيين بالإذعان والخضوع في أجل قدره ثمانية (8) أشهر بالحرم والفصل. وبذلك وجهت رسائل كنسية إلى كل مقاطعات المغرب القديم تحذر الطوائف المنشقة من رعب اللعنة البريميانية [2].

---

[1]- **بغاي (Bagai)**، (قصر بغاي أو بغاية حاليا، شمال غرب مدينة خنشلة بحوالي 12 كلم)، ذكرت كأسقفية في المجمع الديني الذي انعقد في قرطاجة سنة 256م، تعتبر من أكبر معاقل الدوناتية، وقعت بها معظم أحداث التاريخ الدوناتي خاصة معركة سنة 347م، وانعقد بها مجمع البريميانيين سنة 394م الذي ضم 310 أسقفا دوناتيا لإدانة ماكسيميانوس، ومع ذلك لم يعثر بها على كنيسة أو بازيليكا، كانت بغاي بلدية رومانية (Municipium Romanum) في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. لم تذكر بغاي في" مسلك أنطونينوس" (Itinerario Antonini)، ولا في" لوحة بوتينغر" (Table de Peutinger). - Optat (St.), III, 1, 4 ; Augustin (St.), Cont. Cresc., III, IV ; Mesnage (J.P.), l'Afrique chrétienne,, p. 253.

[2]-Augustin (St.), Epist., LI, 2 ; Cont. Epist. Parmen., I, 11, 18 ; Brisson (J.P.), Op.cit., p.226.

وقد لجأ الفريقان إلى السلطة لانتزاع ممتلكات الكنيسة [1] من الفريق الآخر، وتدخل "البريميانيين" بالقوة أحيانا لاسترجاع تلك الممتلكات من "الماكسيميانيين" [2] وانتهى السجال بانتصار البريميانيين سنة 397م، وقرروا العفو عن بعض الأساقفة الماكسيمانيين وأرجعوهم إلى حظيرة الكنيسة الدوناتية[3].

عقد البريميانيون خلال الفترة 396-397م، بعد انتصارهم على الماكسيميانيين، مجمعا بمدينة سيرتا "قسنطينة" حوالي سنة 396م، وقد جرت المداولات حول الإجراءات الواجب اتباعها تجاه العديد من الماكسيميانيين الذين تصالحوا مع كنيسة دوناتوس الكبرى [4]. كما شهدت سنة 397م أيضا انعقاد مجمعين: الأول بتاموقادي (*Thamugadi*) برئاسة "بريميانوس"، وانعقد قبل هزيمة الثائر "جيلدون" (*Gildon*) بأشهر قليلة، والثاني في مدينة ميلاف (*Milev*) "ميلة حاليا" في أواخر سنة 397م [5].

كان أوبطاتوس التاموقادي -في هذه الفترة-الرجل القوي في المنطقة، وبتهديداته فرض السلام على الفريقين المتنازعين البريميانيين والماكسيميانيين، وبعد انتصار البريميانيين بإعادة الماكسيميانيين إلى خط بريميانوس أي إلى

---

[1]- تخاصم الفريقان البريمياني والماكسيمياني الكنائس في حملة فريدة من نوعها، ولجأ كل فريق إلى السلطة لإنتزاعها من الفريق الآخر، والغريب أن الدوناتيين لجأوا إلى حكام وقضاة السلطة الرومانية، لمحاولة التخفيف من حدة القمع الذي كانت تتعرض له الكنيسة الدوناتية أو لإلتماس العقوبات ضد المنشقين عنها. -Augustin (St.), Cont. Cresc., III, 59.

[2].--Augustin (St.), Contra Epistulam Parmen, I, 10- 13

[3]--Monceaux (P.), H.L.A.C., IV., p. 130 ; Brisson (J.P.), Op.cit., pp. 229- 230.

[4]- وفرت مطالب البريميانيين مبررات قانونية حاسمة للكاثوليك سمحت لهم أيضا بالتوجه الى المحاكم والمطالبة بالكنائس، واعتمدت الدعاية الكاثوليكية على إظهار التشابه الموجود بين الانشقاق الماكسيمياني في سنة 392م والانشقاق الدوناتي قبل ثمانين سنة. - Augustin (St.), Contra Cresconium, III, XV, 18; XXV, 28

[5] .- Augustin (St.), Epist., XXXIV, 5-

الكنيسة الدوناتية "الأرثوذكسية"، أثنى المجتمعون في ثاموقادي من البريميانيين على أوبطاتوس، بإحياء ذكرى سيامته الكنسية (*Optati Natalitia*) [1].

وهكذا توسعت رقعة الحركة الدوناتية، إذ تعدت حدود نوميديا إلى البروقنصلية وبيزاكينا، والطرابلسية والموريطانيتين، واستفادت من ظروف تلك الفترة ووقفت الند للند مع الكاثوليكية.

3-مراحل الصراع الدوناتي الكاثوليكي : مر الصراع الدوناتي الكاثوليكي عبر تاريخه بأربعة مراحل، ثلاثة منها في الفترة الرومانية (305-430)، ثم ضعف تدريجيا في نهاية الفترة الوندالية (430-533) ليختفي خلال الفترة البيزنطية في أواخر القرن السادس الميلادي. سنعالج المراحل الثلاث الأولى الخاصة بفترة الدراسة وهي على النحو الآتي:

أ-إرهاصات الصراع (305-316م): تمتد هذه المرحلة من انعقاد مجمع سيرتا في 5 مارس 305م قبل شهرين من استقالة واعتزال الإمبراطور "ديوكليتيانوس" (*Dioclétianus*) [2] إلى سنة 316م تاريخ إدانة الكنيسة الدوناتية المنشقة من قبل الإمبراطور قسطنطين.

وقد تزايد الاضطهاد في هذه الفترة، الأمر الذي دفع بعض القساوسة إلى الردة والضعف أمام حدة الإضطهادات، حيث اضطروا إلى تسليم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطة الزمنية، فكان "بروتوكول سيرتا" (*Concili Cirtensis*) بداية القطيعة بين أولئك الذين ضعفوا وتخاذلوا (الكنيسة الكاثوليكية)، وأولئك الذين صمدوا وقاوموا (الكنيسة "المنشقة" الدوناتية). كما اعتبر هذا البروتوكول أيضا بداية لانعقاد سلسلة من المجامع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية.

---

[1]-- Augustin (St.), Cont. Litter. Petil., I, 10, 11 ; Cont. Cresc., III, 60, 66 ; Epist., CVIII, 2, 5.

[2] -Martroye (F.), « une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et - Circoncellions » , R.Q.H., T.32, 1904, p.354

وقد أثارت حدة هذه الإضطهادات حماسة السكان منذ أحداث أبيتينا (*Abitina*) حيث أصبح نداء ضحايا تلك الأحداث بمثابة الميثاق الديني والاجتماعي، وعرف بتصريح "شهداء أبيتينا" (*act martyrium*) [1]. وتخليدا لهؤلاء الشهداء أقيمت لهم النصب في العديد من مدن وأرياف المغرب القديم [2].

ب-مرحلة الاضطهاد والقمع (317 – 392م): شهدت هذه المرحلة الثانية حركة نشيطة في تاريخ الصراع بين الدوناتية من جهة، والكنيسة الكاثوليكية الرسمية مدعمة من طرف السلطة الرومانية من جهة ثانية، وتمتد هذه المرحلة من أول اضطهاد سنة 317م في عهد الإمبراطور قسطنطين، إلى غاية سنة 392م تاريخ دخول القديس أوغسطين ساحة مواجهة الدوناتية ومجادلة زعمائها بعد توليه المهام الدينية بأسقفية هيبو- ريجيوس" *Hippo- Regius* "عنابة حاليا".

وقد عرفت هذه المرحلة عدة أحداث هامة كان لها الأثر البالغ في تطور الكنيسة المنشقة منها: صدور مرسوم التسامح سنة 321م، ومرسوم الوحدة والاضطهاد سنة 347م، ثم رد الفعل العنيف أيام الإمبراطور جوليان المرتد (*Julien l'apostat*) سنة 362م. وقد تعرض الدوناتيون إلى أول اضطهاد في عهد الإمبراطور قسطنطين عندما أصدر قانون سنة 317م الذي يقضي بمصادرة الكنائس الدوناتية وكل الأماكن التي كان يجتمع بها المنشقون ونفي زعمائها، بهدف تصفية الدوناتية. لذلك أمر الإمبراطور محافظيه بضرورة تطبيق القانون بصرامة، حيث قامت السلطة السياسية مع رجال الكنيسة الرسمية بمنع الدوناتيين من دخول الكنائس والاعتصام بها [3]. فما كان على

-[1] - Monceaux (P.), H.L.A.C., V, p. 4.
-[2] - Audollent (A.), « Mission Epigraphique en Algérie », M.E.F.R.A., 1890, p. 526.
-[3] -Martroye (F.), une tentative de révolution sociale, Op.cit, p. 387- 388.

الدوناتيين إلا مواجهة تلك الإجراءات بالدفاع عن كنائسهم، وحدثت مواجهات عنيفة في عدة كنائس في قرطاجة أسفرت عن قتل العديد من المتعصبين، ودفنوا في نفس الكنائس التي سقطوا بها قتلى [1].

يبدو أن قسطنطين (*Constantin*) انتهج هذه السياسة القمعية، بعد انتصاره على غريمه "ماكسانتيوس" (*Maxentius*)، تلك السياسة التي اتسمت بالانحياز إلى صف "كايكيليانوس" الذي أصبح المستفيد الوحيد في المغرب القديم من الكرم والسخاء الإمبراطوري، الأمر الذي دفع أسقف قرطاجة إلى اتخاذ جملة من الإجراءات التي تحولت إلى أحكام أدانت الدوناتية.

ج-الصراع زمن أوغسطين (392-430م):

ظلت الحركة الدوناتية – وعلى مدار ثمانين عاما- قوية متماسكة، وقفت في وجه الكنيسة الكاثوليكية الرسمية المدعمة من السلطة الرومانية، محبطة كل سياساتها ووسائلها في القضاء على الحركة، أي منذ انتخاب الأسقف "ماجورينوس" (*Majorinus*) أسقفا لكنيسة قرطاجة سنة 312م بعد وفاة "مونسوريوس" (*Mensurius*)، إلى سنة 392م، حيث عرف المغرب القديم حدثين بارزين: يتمثل الأول في وفاة زعيمي الكنيستين المتنافستين، "جنثليوس" [2] (*Genethlius*) أسقف كنيسة قرطاجة الكاثوليكية الذي خلفه "أوريليوس" (*Aurelius*)، ووفاة "بارمينيانوس" (*Parmenianus*) من أشهر أساقفة وزعماء الكنيسة الدوناتية، الذي أعاد تنظيمها وترأسها لمدة تقارب الأربعين سنة [3]. أما الحدث الثاني فهو تعيين القديس أوغسطين أسقفا جديدا

- [1] , H.L.A.C., IV, p. 469.) Monceaux (P. -

[2] - **جنثليوس Genethlius** ، كان أسقفا كاثوليكيا لكنيسة قرطاجة في حوالي 390م، توفي حوالي سنة 392م، وخلفه "أوريليوس" الذي كان في البداية شماسا في كنيسة قرطاجة في سنة 388م في فترة عودة القديس أوغسطين إلى إفريقيا، ثم عين في أواخر سنة 392م أسقفا لنفس الكنيسة، وترأس مجمع هيبون المنعقد في 8 أكتوبر 393م. ,(St.) Augustin - Epist., XLIV. 5, 12 ; XXII ; Mesnage (J.P.), l'Afrique Chrétienne…, p. 5.

[3].- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.337

على رأس أسقفية هيبو- ريجوس (*Hippo- Regius*) "عنابة" حاليا، والذي لعب دورا بارزا في إحداث الانشقاق داخل الحركة الدوناتية، باستعمال كل الوسائل والإمكانات بما في ذلك شرعية استخدام القوة لإعادة المنشقين إلى الكنيسة الكاثوليكية [1].

وبعد وفاة زعيم الحركة الدوناتية "بارمينيانوس" سنة 392م تم انتخاب "بريميانوس" [2] (*Primianus*) خليفة له. لم يمكث كبير الأساقفة النوميد طويلا في منصبه حتى بدأت الشكوك تحوم حوله، منذ الأشهر الأولى من أسقفيته، نتيجة سياسته التي اتسمت بالتحيز وكثرة الأخطاء، والاستبداد [3].

يبدو أن الغزو الوندالي [4] لبلاد المغرب سنة 430م ساهم بشكل غير مباشر، في إنقاذ ما تبقى من الدوناتية، وإضعاف أكبر أعداء الانشقاق الدوناتي وهي السلطة الرومانية التي بدأت تفقد مقاطعاتها الإفريقية شيئا فشيئا من جهة، وتعرض الكنيسة الكاثوليكية بدورها للاضطهاد الوندالي من جهة ثانية.

خاتمـــة:

استطاعت الحركة الدوناتية أن توسع رقعتها، إذ تعدت حدود نوميديا إلى البروقنصلية وبيزاكينا والطرابلسية شرقا، والموريطانيتين غربا، واستفادت من ظروف تلك الفترة ووقفت الند للند مع الكاثوليكية. لكنها انفردت بالسيطرة على نوميديا، فقد ملكت قلوب الناس في المراكز الحضرية الكبرى –آنذاك –مثل

---

[1]- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، الجزائر، 1984، ص 300.

[2]-**بريميانوس** (Primianus)، أسقف دوناتي، خليفة بارمينيانوس بعد وفاته سنة 392م، ، وبعد آخر زعماء الدوناتية، قبل حلها سنة 411م. - Mesnage (J.P.), l'Afrique Chrétienne…, pp. 5, 202.

[3]-Monceaux (P.), H.L.A.C., t.V, p. 224 ; t VI., p. 111.

[4]- **الوندال** Vandali، اسم مشتق من "Wendes" أو "Vendel" وهو اسم قرية سويدية في أوبلاند قد تكون الموطن الأصلي للوندال حسب ما ذكره كورتوا. وهم شعب جرماني كان يسكن ما بين نهري الفستول(Vistule) والأودر (Oder) في بولونيا حاليا، على ضفاف بحر البلطيق خلال القرن الثاني الميلاد. - Evagre, Histoire Ecclésiastique, trad. M. Cousin, Paris, 1686, IV, 16 ; Courtois (Ch.), les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, p.15.

مدينة هيبون (*Hippone*) "عنابة" ومدينة بغاي معقل الدوناتية، إلى درجة أن الأسقف الدوناتي لا يجد خصوما في بعض المناطق. وكانت الكنيسة الدوناتية تتقدم كل سنة بخطوة، والكنيسة الكاثوليكية تتراجع خطوات حتى كادت منطقة المغرب القديم أن تكون دوناتية بحتة قبل دخول أوغسطين ساحة المواجهة.

إلا أن الانشقاق الدوناتي اختفى من التاريخ بصورة نهائية في سنة 598م، بعد ثلاثة قرون من الوجود والمقاومة. إن هذا الاختفاء المفاجئ في أواخر القرن السادس الميلادي يعود إلى سببين رئيسيين:

أولا: أن البابا "غريغوار الأكبر" لم يذكر الدوناتيين والدوناتية في مراسلاته خلال الست سنوات الأخيرة من فترته البابوية التي انتهت في سنة 604م. ويمكن أن نفترض أن المنشقين هدأوا نوعا ما خلال السنوات الأخيرة من القرن السادس الميلادي.

ثانيا: إذا كنا نجهل خلال الفترة الممتدة من سنة 590م إلى سنة 598م هل كان المنشقين أكثر نشاطا وجرأة وتهديدا، رغم أنهم وإلى بداية القرن السابع الميلادي كانوا يسيطرون على جزء واسع من نوميديا، فإن لم تصلنا أخبارهم بعد هذه الفترة فلأن المصادر التاريخية لم تتحدث عنهم أو تجاهلتهم.

يبدو أن الانشقاق الدوناتي استمر مدة أطول في بعض المناطق، فقد وجد الفاتحون المسلمون الأوائل عند دخولهم الأرض الإفريقية في منتصف القرن السابع الميلادي بعض الجماعات والطوائف التي لا زالت وفية لكنيسة دوناتوس في بلاد المغرب القديم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

1. شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984.

2- باللغة الأجنبية:

1. Allard (P.), *la persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église,* Victor Lecoffre, Paris, 1900.
2. Audollent (A.), *« Mission Epigraphique en Algérie »,* M.E.F.R.A., 1890.
3. Augustin (St.), *Epistolae, XXXIV, 5.*
4. Augustin (St.), *Contra Cresconium, III, 28- 29.*
5. Augustin (St.), *Contra Epistulam Parmeniani, I, 10- 13.*
6. Augustin (St.), *Contra Cresconium, III, XV, 18; XXV, 28.*
7. Augustin (St.), *Contra Litteras Pétiliani., I, 10, 11.*
8. Augustin (St.), *Lettres,* trad. par M. Poujoulat, Paris, 1858, CV, 2, 9.
9. Beschaouch (A.), *« Sur la localisation d'Abitina… »,* C.R.A.I., 1976, (pp. 255- 266).
10. Birebent (J.), *Aquae Romanae, recherches d'hydraulique romaines dans l'est Algérien*, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1961.
11. Brisson (J.P.), *Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine,* de Boccard, Paris, 1958.
12. Bouillet (M.N.), *Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie,* Hachette, Paris 1878.
13. Cayrel (P.), *« une basilique donatiste de Numidie »,* M.E.F.R., LI, 1934.
14. *Codex Théodosianus,* édit.Th.Mommsen, P. Meyer, 2e éd., Berlin, 1954.
15. Courtois (Ch.), *les Vandales et l'Afrique,* Paris, 1955.
16. Congar (Y.), *Note complémentaire n° 10, « Parmenianus et Tyconius »,* B.A., 28, (pp 718- 721).
17. Courcelle (P.), *« une seconde campagne de fouilles à Ksar El Kelb »,* M.E.F.R., 1936, pp. 166- 197.
18. Duval (N.), *une nouvelle édition du « dossier du Donatisme »,* R.E.A., n°35, 1989, (pp.171-179).
19. Duchesne (L.), *« le Dossier du Donatisme », M.*E.F.R.A., X, 1890, (pp. 589- 650).
20. Evagre, *Histoire Ecclésiastique,* IV, trad. M. Cousin, Paris, 1686.
21. Félix Gaffiot, *Dictionnaire Abrégé Latin Français,* Hachette, Paris, 1936.
22. Gsell (S.), *Notes d'archéologie Algérienne,* B.C.T.H., 1899.
23. Gsell (S.), *l'Algérie dans l'Antiquité,* Adolphe Jourdan, Alger, 1903.
24. Gsell (S.), *Atlas Archéologique de l'Algérie,* cartes et textes, Fontemoing Paris, Adolphe Jourdan, Alger, 1911.
25. Julien (Ch.A.), *Histoire de l'Afrique du nord,* Sned, Alger, 1978.

26. Lancel (S.), *Actes de la Conférence de Carthage en 411,* T. I : Introduction, S.C., n° 194, Paris, 1972.
27. Maier (J.L.), *l'épiscopat de l'Afrique Romaine, Vandale et Byzantine,* Bibliothéca Helvetica Romana, XI, Institut Suisse de Rome, 1973.
28. Martroye (F.), *« une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et circoncellions »,* R.Q.H., T.32, 1904, p. 361.
29. Martroye (F.), *la répression du Donatisme et la politique religieuse de Constantin et de ses successeurs en Afrique,* M.S.N.A.F., 1914.
30. Mesnage (J.P.), *l'Afrique chrétienne, Ruines Antiques et évêchés,* Paris, Ernest Leroux, 1912.
31. Monceaux (P.), *« les premiers temps du donatisme et la Question des deux Donat »,* in : C.R.A.I., n° 1, 1916.
32. Monceaux (P.), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'a l'invasion arabe,* t. I, IV, Ernest Leroux, Paris, 1902.
33. Mourre (M.), *Dictionnaire encyclopédique d'histoire,* Bordas, 1978.
34. Optat de Milev*, de schismate donatistarum,* édition C. Ziwsa, C.S.E.L., t. XXVI, Vienne, 1893.
35. Pallu de Lessert*, Fastes des provinces Africaines sous la domination romaine,* t. 2, Paris, 1901.
36. Petit (P.), *Histoire Générale de l'empire Romain, t. I, le Haut-Empire (27 av. J.C.- 161 ap. J.C.),* Paris, Seuil, 1974.
37. Pluquet (J. P.), Claris (J. Jh.), *Dictionnaire des Hérésies, des erreurs et des schismes, t*. I., Ateliers catholiques, Paris, 1847.
38. Ragot (W.), *«le Sahara de la province de Constantine »,* R.S.A.C., XVI, 1873- 1874.
39. Raynal (D.), *« Culte des martyres et propagande Donatiste à Upenna »,* C.T., T.XXI, n° 81- 82, 1973, (pp. 46- 47).
40. Tissot (Ch.), *Géographie Comparée de la province Romaine d'Afrique, t.* II, Paris, 1888.
41. Toulotte (Mgr.), *Géographie de l'Afrique Chrétienne, Numidie,* Oberthur Typographie, Rennes-Paris, 1892.
42. Warmington (B.H.), *The North African provinces from Dioclétian to the Vandal conquest*, Cambridge, 1954.